العرب
الخميس 2021/11/25
السنة 44 العدد 12251

الروائي محسن الغمري: على الرواية أن تتماس مع واقع المجتمع وعوالم السياسة

المشهد الثقافي المصري مرتبك منذ فترة ولم يستقر حتى الآن

يكتب الروائي المصري محسن الغمري انطلاقا من رؤية تبحث في آفاق واقع مصر وما يعتمل داخله من حيوات شديدة الخصوصية الإنسانية ومن أحداث متلاحقة تدفع الإنسان ويدفعها في ما يشبه الصراعات التي لا تنتهي، وهو ما برع الكاتب في رصده بدقة. حول هذه التجربة وانتقالاتها وما تحمله من رؤى وأفكار وقضايا كان لـ"العرب" هذا الحوار مع الكاتب.

محمد الحمامصي
كاتب مصري

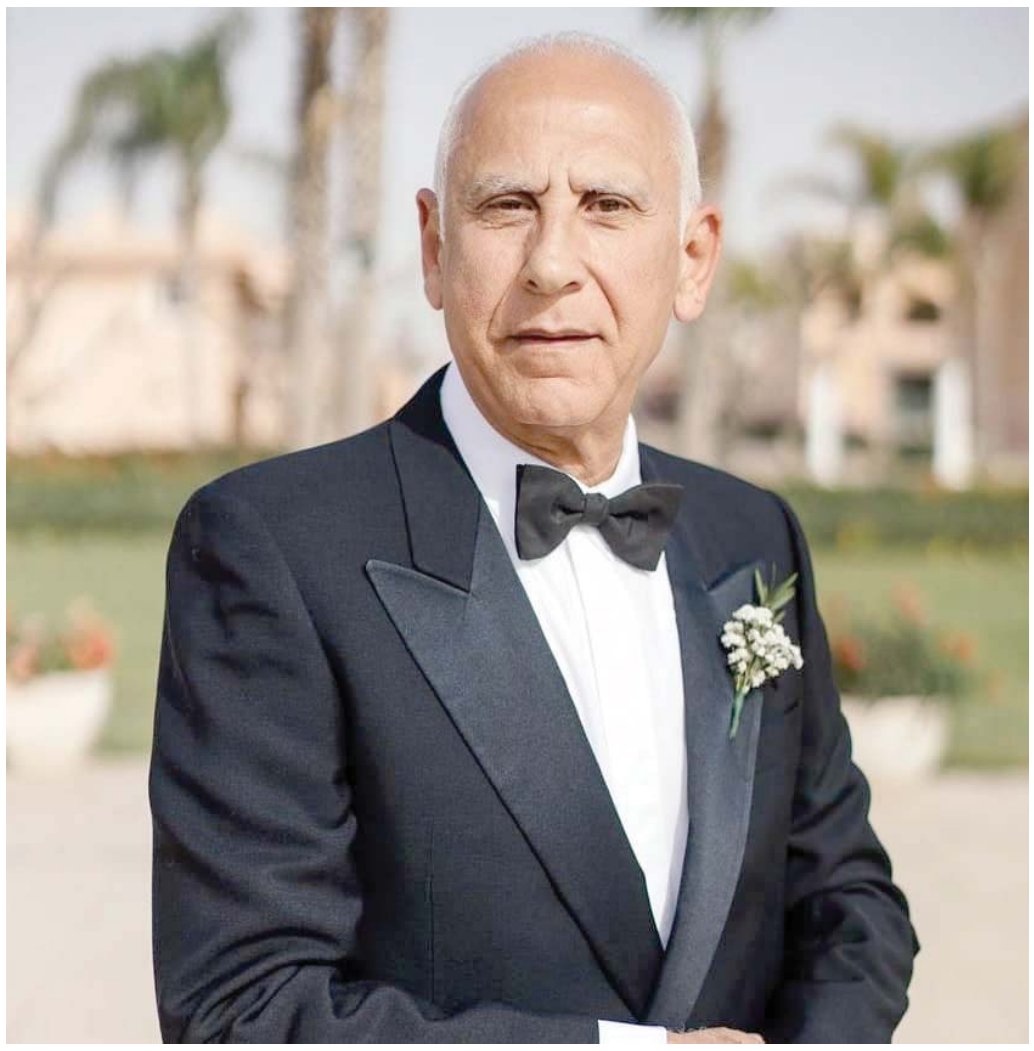

الفن مرآة المجتمع

بدأ محسن الغمري قاصا من خلال مجموعتين قصصيتين أولاهما "القفز فوق السحاب" وثانيتهما "فاطمة وبلانش"، ومع انطلاق ثورة يناير 2011 كانت أولى رواياته "ربما ذات يوم" التي كتبها عام 2010 مؤكدا فيها حتمية إسقاط النظام.

ثم انطلاقا من معايشته لمجال الطيران المدني بدءا من العمل كمضيف وانتهاء بتولي منصب مدير عام بقطاع الضيافة كانت روايته "حكاية قبل الموت" التي ربما الرواية الوحيدة التي تناولت قصة إسقاط طائرة مصر للطيران في الأطلنطي، والتي أشيع عنها انتحار طيارها بالطائرة ومن عليها، ثم كانت رواية "وثبات طويلة عالية" ورواية "أفنديا" الصادرتان عن مؤسسة أروقة.

ويقول الغمري "ربما كانت كتابتي للقصة القصيرة إرهاصا لكتابة الرواية فيما بعد، وقد جاءت أول مجموعة قصصية لي 'القفز فوق السحاب' عام 2005، وكانت جل أفكار قصصها مستقاة من تجارب القفز (العمل فوق السحاب). كتبت القصة القصيرة بالرغم من الرغبة الدفينة التي كانت تعتمل بصدري وتدفعني إلى كتابة الرواية، لكني آنذاك كنت بالفعل أخاف دخول التجربة، فالرواية معمار يشيّد، تسكنه شخصيات كثيرة وأحداث مركبة، الأمر إذن يحتاج إلى مهندس (كاتب) ماهر للحفاظ على توازنه وتماسكه".

ويتابع "ثم جاء عام 2008 وقت أن صدر إبداعي الثاني في شكل مجموعة قصص قصيرة، تحت اسم 'فاطمة وبلانش' وقد صادفت تلك المجموعة حظا من النجاح لم أتوقعه، إذ حصلت على جائزة اتحاد كتاب مصر عن القصة القصيرة عام 2012، وهنا استشعرت جرأة لا تأتيني كثيرا، أكسبتني تلك الجائزة الرمزية وجعلتني أقرر خوض تجربة كتابة الرواية".

الرواية معمار

يذكر الكاتب كيف جاءت روايته التالية "ربما ذات يوم" في أول عام 2011، وحين صدرت الرواية التي كان قد دفع بها إلى الناشر قبيل نهاية عام 2010 –وكغيره من الكثير من المصريين– كان صدره يغلي من سوء أحوال العباد والبلاد التي ضربها الفساد والمحسوبية بشدة حتى نهبت أراضي البلاد وأموال المعاشات نهارا جهارا، وعندما بدأت فكرة توريث الحكم تزدهر وتجد من البعض القبول ومن البعض التطبيل والتشجيع غضب غضبا شديدا وتساءل: هل نحن شعب جبل على العبودية منذ المصريين القدماء؟ هل نحن شعب خانع لا يثور مهما فُعل بنا؟

عندئذ أمسك بسوط على شكل قلم وراح يجلد المصري الذي بداخله عله يصرخ ويثور مناديا بسقوط النظام، وهي آخر جملة أنهى بها الرواية، والتي إن ضم إليها أمنية "ربما ذات يوم يسقط النظام" تعيش بقلب المصري، ضاق ذرعا وقتذاك باستبداد الحاكم وأعوانه.

وحول رواية "حكاية قبل الموت" وهي الرواية –ربما– الوحيدة التي تناولت قصة إسقاط طائرة مصر للطيران في الأطلنطي، والتي أشيع عنها انتحار طيارها بالطائرة ومن عليها، يوضح الغمري "عملي في الطيران استغرق رحلة حياتي العملية بالكامل، فبعد تخرجي من الجامعة وأداء خدمتي العسكرية بدأت العمل مضيفا جويا، وتوليت مع الوقت منصب مدير عام في تلك المهنة، التي تمتاز بأنها مهنة بلا مكاتب ودواوين، لكنها مهنة تجعلك تقضي العمر المهني على جناح طائرة، ومن هنا فأنا زميل وصديق لكل أفراد طاقم رحلة 990 والتي أسقطت في فجر يوم الحادي والثلاثين من أكتوبر 1999".

ويتابع "أشيع آنذاك أن مساعد الطيار قد قام بالانتحار بإسقاط الطائرة ومن عليها، وهو اتهام سخيف غير منطقي وغير مقبول ممن يعرفون طبائع هؤلاء عن قرب، وأيضا ممن يعرفون مؤامرات وجرائم الاغتيال التي تشتهر بها أجهزة مخابرات العالم، التي تتخذ القتل وسيلة سهلة للتخلص من أي خصم عنيد، ولقد عرف للجميع في ما بعد السبب وراء هذه التصفية للطائرة ومن كانوا على متنها من صفوة الضباط والعلماء المصريين. واستشعرت واجبي تجاه هؤلاء الشهداء من زملاء العمل ومن معهم، قلت لنفسي من يملك القلم والخيال إضافة إلى المعلومة والدراية بهذا الفضاء أكثر مني؟ لا بد أن أكتب وأسجل الحادثة تمجيدا لروح هؤلاء جميعا، وجاءت رواية 'حكاية قبل الموت' التي صدرت عام 2017 عن دار دلتا للنشر، ثم عادت وصدرت عن مؤسسة أروقة".

في روايته الجديدة "أفنديا"، الصادرة عن مؤسسة أروقة، يعود الغمري إلى التاريخ من خلال حكم عباس حلمي الأول، والتآمر عليه وقتله. هل كانت العودة إلى التاريخ هروبا من مواجهة الواقع فأسقطت عليه هذه الفترة التاريخية؟

يقول "قبل كتابتي لـ'أفنديا' كتبت رواية باسم 'وثبات طويلة عالية' صدرت عام 2019، وهي رواية اجتماعية رومانسية، وقعت أحداثها بين القاهرة ودبي وصنعاء وبحر العرب جنوب اليمن، أما الحدث الأهم فيها فكان لقاء دارت تفاصيله على جناح الطائرة. بعد ذلك وما إن استقر الرأي على كتابة شخصية الوالي عباس حلمي الأول حتى بدأت الإعداد والحشد لما سوف تحتاج إليه الرواية من وثائق ومعلومات.

الإبداع والواقع

إلى جانب القصة والرواية يشارك الغمري في ورش ومنتديات كتابة السيناريو لأعمال الدراما السينمائية والتلفزيونية، ويمارس فن التصوير الضوئي (الفوتوغرافي). وشارك في الكثير من المعارض المحلية، وهنا يؤكد أن ذلك كله يأتي انطلاقا من حبه وعشقه لكتابة الصورة، فن السيناريو هو فن الدمج أو المزج بين الصورة والكلمة، بين ما تراه العين وتسمعه الأذن، فن يحتاج إلى ملكة الكتابة وإلى عين بصيرة خبيرة مبدعة، قادرة على خلق مشاهد حية مرئية ومسموعة.

ويلفت إلى أن "الصورة الفوتوغرافية هي تثبيت للحظة على جدار الزمن، وهي تحتاج إلى عين دربة لها منظور خاص، وتعرف كيف تظهر ما تراه أمام عينيها، ممارستي لفن التصوير الضوئي الفوتوغرافي عن عشق، التصوير ليس هو ما تضغط فيه على زر فتنطبع لديك لقطة، التصوير هو إبراز للجمال من وسط كومة قش أو تل من الزبالة".

ويتابع "بالطبع هذا خدمني كثيرا عند الكتابة، فالمشهدية من وصف للمكان ولأشخاص فيه من ملابسهم وأساليب سكونهم وحركتهم، بل ومن روائحهم أو نبرات أصواتهم، كل تلك العناصر تحتاج إلى عين ترى الكلمات في شكل صور، فمن مهارات الكاتب أن ينقل القارئ إلى طبيعة المكان والشخصيات والزمن الذي يكتب في أجوائه، يدخله إلى المكان ويقابله بشخصيات كانت في خياله قبل الورق، فن التصوير بالضوء يتشابه مع فن التصوير بالكلمة مع اختلاف الوسائل".

ويرى الغمري أنه انطلاقا من كون الفن مرآة للمجتمع فإن الرواية تتماس مع مجريات المجتمع والسياسة؛ السياسة أحد العناصر المؤثرة بشدة في المجتمع، خصوصا في شقها الداخلي، فهي الراسمة للإطار العام للمجتمع من كل جوانبه الاقتصادية والثقافية، وعليه فإن السياسة لها تأثير مباشر على حياة كل شخص في المجتمع، ثم إن الأدب هو أحد العناصر الهامة المكونة للفن الذي يعد مرآة وعين راصدة لكل فعل سياسي وكل رد فعل مجتمعي تجاهه.

> الرواية معمار يُشيّد تسكنه شخصيات كثيرة وأحداث مركبة، ويحتاج إلى كاتب مثل مهندس ماهر للحفاظ على تماسكه

الأدب، في رأيه، راصد ومسجل لكل ما يمر بالمجتمع من موجات زمنية، قد تأخذ المجتمع إلى قمة تلك الحقبة الزمنية أو تسحبه إلى قاعها، كما أن الرواية هي أحد أشكال الفنون الإبداعية. وبما أن الفن هو القوة الناعمة المؤثرة –ربما بشكل غير مباشر– في المجتمع فإن الرواية إذن تلعب دورا في تشكيل هذا المجتمع وثقافته؛ فقد تأخذ بيد المجتمع صوب النجاح، وقد يكون العكس، لذا فالأدب غالبا ما يكون انعكاسا لسياسة تقود المجتمع، إلا في ما هو قليل من سباحة ضد التيار.

ويؤكد على أن النقد هام جدا لتسليط الضوء على كل فعل فني – أدبي. ويتحدث هنا عن النقد الأكاديمي، القادر على إبراز إيجابيات وسلبيات كل ما يأخذ صفة الإبداع، "لكن يبدو أن المنتج الأدبي يفوق في غزارته قدرة المهتمين بأمر النقد، فقد تخرج إلينا أعمال تحتاج إلى رصدها نقديا –بغض النظر عن جودتها– ليعرف تأثيرها من عدمه على المتناول لها.

ويظن الغمري أن "المشهد الثقافي مرتبك منذ فترة ولم يستقر حتى اللحظة الآنية؛ فالتداخل الحادث من قوى تحاول فرض سيطرتها بشكل أو بآخر على كل منتج ثقافي دون علم أو دراية، والإصرار على جعل كل منتج ثقافي هو مجرد سلعة خاضعة لنظرية المكسب والخسارة، يدفعان بالمشهد إلى منطقة مضطربة مرتبكة.

مؤسسات ثقافية لدعم الشباب من مراكش إلى الدار البيضاء

مراكش (المغرب) - أعلنت مؤسسة "علي زاوا" أنها ستفتتح يوم السادس والعشرين من نوفمبر الجاري بمراكش مركزها الثقافي الجديد، الذي يحمل اسم "نجوم جامع الفنا".

وذكر بلاغ لمؤسسة "علي زاوا" أن مركز مدينة مراكش سيكون هو الخامس من نوعه، بعد مراكز مدن الدار البيضاء وطنجة وأكادير وفاس، موضحة أنه مركز ثقافي مغربي خالص، تحت إشرافها، وأنها هي التي اختارت له اسم "نجوم جامع الفنا".

ويقع مركز "نجوم جامع الفنا" في قلب مدينة مراكش، على بعد خطوات قليلة من ساحة جامع الفنا الشهيرة، إذ شيد داخل مبنى "رياض الكبير" الذي وفرته وزارة الشباب والرياضة، وتم إخضاعه للترميم، وذلك على مساحة تقدر بألف متر مربع، ومن المنتظر أن يستقبل ما بين 500 و600 مستفيد دائم منذ السنة الأولى، سيشاركون في دروس فنية تهم المسرح والرقص والموسيقى والفنون التشكيلية والبصرية.

ومن خلال برنامجه الثقافي سيسلط مركز "نجوم جامع الفنا" الضوء على تراث المدينة، ويمنح لشبابها فرصة اكتشاف أشكال التعبير الفني المعاصرة، كما سيوفر دورات لتعليم اللغات الأجنبية لفتح آفاق جديدة أمام الشباب، أساسها الانفتاح على ثقافات العالم.

ولا يقف دور المركز عند هذا الحد، إذ سيوفر أماكن لاشتغال وتدريب فناني المدينة الشباب (أستوديوهات للرقص، وقاعة للموسيقى، وأستوديو التسجيل)، بالإضافة إلى مكتبة مفتوحة للجمهور طيلة أيام الأسبوع، إذ يعد المركز جوهرة معمارية حقيقية تمنح مساحة للحوار الاجتماعي والثقافي والاجتماعات متعددة التخصصات.

ويعكس افتتاح مركز "نجوم جامع الفناء" الثراء الثقافي للمدينة، إذ ستشهد خلال الفترة من السادس والعشرين إلى الثامن والعشرين من نوفمبر الجاري انطلاق أنشطة ثقافية، منها اللقاءات بين الثقافات والأجيال التي ستسلط الضوء على المواهب المحلية وإبداع الشباب.

كما سيفتح المركز أبوابه للأطفال وشباب الحي والمدينة خلال هذه الأيام الثلاثة لاكتشاف مختلف الورشات الفنية.

ويذكر أنه على مدى سنوات من إحداث مراكز مؤسسة "علي زاوا" الثقافية نجحت هذه الفضاءات في تمكين شباب المغرب من إطلاق إبداعهم، ومنحتهم مجالا للتعبير والتعلم والاكتشاف، من خلال أشكال مختلفة من التعبير الفني (الموسيقى والرقص والمسرح والفنون البصرية والتشكيلية)، إضافة إلى تعلم اللغات الأجنبية (الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والصينية والكورية)، مما مكنهم من اكتشاف ثقافات العالم.

ومن ناحية أخرى يشكل المركز الثقافي بابن أحمد الذي تم تدشينه في الدار البيضاء مؤخرا بمناسبة الذكرى الـ46 للمسيرة الخضراء، فضاء جديدا للتنشيط الفني والثقافي وصقل المواهب الشابة المحلية وإبراز مهاراتها الفنية.

وتسعى هذه البنية الجديدة، التي رأت النور بفضل شراكة فاعلة بين وزارة الثقافة والمجلس الجوي الدار البيضاء – سطات والمجلس الإقليمي لسطات والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية والجماعة الترابية لابن أحمد، لأن تصبح قبلة للمبدعين والمثقفين الباحثين عن مكان لعرض إنتاجاتهم الثقافية والفنية والمسرحية.

وفي هذا الصدد باشر المركز موسمه الثقافي 2021 – 2022 خلال الأسبوع المنقضي، في مسعى لتعزيز الدينامية الثقافية في المدينة، لاسيما بعد الرفع الجزئي للإجراءات الاحترازية ضد جائحة كورونا.

وتميز هذا الحدث الثقافي بتقديم عروض مسرحية للأطفال لفرقة "ستيلكوم"، ومسرحية "نايضة 2" للمخرج أمين ناسور، وذلك بحضور فنانين مسرحيين وجمهور غفير من عشاق المسرح.

> المركز الثقافي بابن أحمد في الدار البيضاء ومؤسسة «علي زاوا» بمراكش مؤسستان تخلقان حركية ثقافية وفنية متنوعة

وقالت حفيظة خويي، المديرة الجهوية للثقافة، إن هذا المركز الذي يوفر فضاء ملائما لمختلف الأنشطة الثقافية والفنية يأتي استجابة للحاجة الماسة إلى مثل هذه المنشآت في تعزيز البنيات التحية الثقافية وخاصة بمدينة بن أحمد التي تزخر بالطاقات الفنية والثقافية الشابة سواء في المسرح أو الرسم أو الفنون التشكيلية وغيرها.

وأضافت خويي في تصريح لها أن الأمر "حلم تحقق" لفائدة سكان المدينة، مبرزة أنه جاء ثمرة لمجهودات متضافرة للمنتخبين والسلطات المحلية ووزارة الثقافة التي تواصل الجهود من أجل تعزيز البنيات التحتية الثقافية بمختلف أنحاء المملكة.

وأوضحت أن هذه المجهودات تعكس الحرص على الرفع من نجاعة قطاع الثقافة وفاعليته عبر خلق فضاءات متاحة للفعاليات الثقافية المحلية، ومفتوحة أمام كل المهتمين بالشأن الثقافي، بما يكرس مكانة الثقافة كرافعة للتنمية المحلية والوطنية.

يشار إلى أن هذه المنشأة الثقافية والفنية كلفت غلافا ماليا يقدر بـ22 مليون درهم، وتم تشييدها على مساحة تقدر بـ2800 متر مربع. وتضم 8 قاعات للمطالعة والإعلاميات والموسيقى، وورشات للمسرح والفنون التشكيلية، ومسرحا يتسع لـ500 شخص.

المراكز مفتوحة لكافة الفنون والفنانين